مقياس: حاضر العالم الإسلامي
السنة ثانية ماستر: دعوة وإعلام السنة الجامعية: 2023/2022

المحاضرة السادسة: قضايا المسلمين في قارة أفريقيا

مقدمة:

أفريقيا هي القارة الوحيدة التي يمكن تسميتها بالقارة المسلمة من بين قارات العالم . وكل شيء يشير إلى أن الإسلام هو دين المستقبل في هذه القارة.
فحاضر القارة يشهد واقعا إسلاميا ملموسا ، تنطق به الحقائق التالية :
1- قرابة 70 % من المجتمع العربي المسلم في أفريقيا .
2- 75 % من الأراضي العربية الإسلامية في أفريقيا .
3- أكثر من 60 % من مجموع السكان مسلمون .
4- تشهد الدعوة الإسلامية صدى وتجاوبا لدى الأفارقة ، وتسير بخطى واسعة . فالأرض والسكان والتاريخ والواقع بكل أبعاده ، كل هذا يعيش حاضره فيها ممتزجا بالإسلام ، لا انفصام عنه . فتستحق عن جدارة تسميتها بلقب : القارة المسلمة .

أولا: لمحة عامة:

أفريقيا قارة يعادل طولها مقدار عرضها، وقارات العالم تحيطها السهول وترتفع في داخلها المرتفعات الجبلية، بينما نرى أن قارة أفريقيا تحاط بحزام جبلي يحيطها من سواحلها، ثم تنبسط الأرض لتشكل السهول التي تنتهي بالصحراء الكبرى وسط أفريقيا.

(تبلغ مساحة أفريقيا أكثر من 30.370.000 كم2، فهي تشكل خمس مساحة اليابسة في الكرة الأرضية، وعدد سكانها 1.216 مليار (2016م).

وتأتي في المرتبة الثانية بعد قارة آسيا من حيث المساحة وعدد السكان.

ثانيا: دخول الإسلام إلى أفريقيا:

ـ كانت إفريقيا أول قارّةٍ وصل إليها الدِّين الإسلاميّ في السّنة الخامسة للبعثة النَّبويّة، وذلك عندما أمر النّبيّ صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة من مكّة إلى الحبشة، عندما ازداد ظلم واضطهاد مشركي قريشٍ للمؤمنين.

ـ بعد استقرار أركان الدَّولة الإسلاميّة في عهد الخليفة الرَّاشد عمر بن الخطاب رضيّ الله عنه وجّه الجيوش في شرق المعمورة وغربها؛ لنشر الإسلام وتوسيع رقعة الدَّولة المسلمة، ففتح مصر على يدّ الصَّحابيّ عمرو بن العاص رضيّ الله عنه.

ـ واصل الخليفة الرَّاشد عثمان بن عفّان رضيّ الله عنه، ففتح بلاد المغرب العربيّ بقيادة عبدالله بن أبي السّرح، وأسّس أوّل أسطول بحريٍّ للمساعدة في الفتوحات الإسلاميّة.

ـ في العهد الأمويّ بدأ الخليفة معاوية بن أبي سفيان عهده بإتمام سياسة سابقيه من الخلفاء الرَّاشدين؛ فزاد من امتداد الدَّولة الإسلاميّة الأمويّة في مصر، وأسند إلى القائد عقبة بن نافع الفهريّ قيادة الفتوحات في شمال إفريقيا، فأسّس مدينة القيروان في تونس لتكون قاعدةً لانطلاق الجيوش الإسلاميّة، وفتح المغرب ووصل إلى سبتة، وطنجة والصَّحراء المغربيّة، ثُمّ أكمل كلٌّ من حسان بن النعمان، وموسى بن نصير توسيع رقعة الدَّولة، حتى أصبح الدِّين الإسلاميّ في وقتنا الرَّاهن الدِّين رقم واحدٍ في إفريقيا قاطبة.

ثالثا: العقبات التي وقفت في وجه الإسلام في داخل إفريقيا في العصور الحديثة:

1 ـ العزلة التي فرضت على القارة في عهد الاكتشافات الجغرافية: عمد البرتغاليون والإسبانيون إلى الإحاطة بالعالم الإسلامي تمهيدا لضربه في الداخل، واستطاع البرتغال الإحاطة بسواحل إفريقيا فحجزوا داخلها عن المد الإسلامي، وانشغل المسلمون بمواجهة هذا الخطر.

2 ـ تجارة العبيد: في القرن 15م انشغل البرتغال بتجارة الرقيق ونافسهم فيها الفرنسيون والأنجليز والهولنديون وحتى الدانمارك، وحققت هذه التجارة لأوروبا أرباحا خيالية، وأصبحت هذه السلعة هي الأساس الذي بنت عليه تلك الدول الاستعمارية اقتصادها ورخاءها.

ومن أمثلة ذلك: أن الإسبان لما احتلوا جزر الهند الغربية (1492 – 1678) واستغلوا أرضيها في زراعة الدخان وقصب السكر والقطن احتاجوا للأيدي العاملة، فعقدوا عقودا مع المقاولين البرتغال لتوريد أعدادا من الرقيق تراوحت بين 50 و70 ألفا سنويا إلى المزارع الإسبانية.

كما بلغ عدد الرقيق الأفارقة في البرتغال في نهاية الربع الأول من القرن السادس عشر أكثر من عدد المواطنين البرتغاليين.

ويقدر عدد ما وصل إلى المستعمرات الأوروبية كلها ب 40 مليونا خلال 1680 - 1786م.

وضعف ذلك العد هاجر بسبب المعاملة السيئة والفقر والأمراض...

ويقدر عدد الأفارقة الذين وصلوا إلى أوروبا في هذا القرن من 80 إلى 100 مليون نسمة.

وتقدر الإحصاءات أنه بلغ عددهم خلال خمسة قرون نحو 500 مليون أفريقيا .وهذا أدى إلى الفقر في الأيدي العاملة والإنتاج ، بل أدى إلى انهيار العديد من الإمارات الإفريقية.

والأدهى من ذلك أن الكنيسة تعاونت مع المستعمرين لتعميد العبيد المرسلين إلى أمريكا، وتقبض نصيبها من رسوم التصدير حتى أصبح موردا هاما من موارد الكنيسة.

وكان نتيجة قرون من العبودية أن وجد الإفريقي نفسه بلا تجارب وبدون تعليم وفي جو من الجوع والقذارة والتبعية والخوف والعجز و الإهمال. ونسوا تراثهم الإسلامي، لأن الاستعمار كان حريصا أن يخلعهم عن ماضيهم .

3 ـ الأمراض وطبيعة الأرض: كانت الأمراض من أكبر العقبات التي عاقت انتشار الإسلام في العصور الوسطى، كما عاقت المستكشفين في العصور الحديثة، كالجدري والملاريا ...فابتلعت إفريقيا الكثير من رواد الدعوة والمستكشفين. كما أن الغابات الاستوائية والجبال الشاهقة الممتدة على الساحل كانت حائلا في وجه الدعاة والتجار. فحدت من انتشار الإسلام وتوغله نوعا ما.

4 ـ الاستعمار الأوروبي الحديث: بعد الثورة الصناعية كانت افريقيا هدفا للشركات التجارية الاستعمارية لاستغلالها وامتصاص خيراتها، واشتد التنافس بين الدول الاستعمارية على افريقيا .

وخلف الاستعمار في قارة افريقيا مشاكل كثيرة مستعصية، أهمها وأخطرها:

ـ مشكلة الحدود بين الدول الإفريقية وهي من أعنف المشكلات.

ـ مشكلة التخلف الاقتصادي والتبعية لأوروبا فمازالت الكثير من المواد الخام المعدنية (كالماس والذهب والفضة والنحاس والكبريت والرصاص والبترول) تصدر كمواد خام.

ـ مشكلة التخلف الاجتماعي وذلك عن طريق انتشار العادات والتقاليد البالية والخرافات كعبادة أرواح السلف...وتفكيك الروابط القبلية والأسرية.

ـ مشكلة انخفاظ المستوى الثقافي والعلمي وغلبة الأمية، بل إن الخدمات التعليمية تركزت في كثير من الأحيان للجمعيات التبشيرية، حتى أصبحت إفريقيا ميدانا للتبشير.

ـ مشكلة تعدد اللغات المستعملة في البلد الواحد وعدم استخدام اللغة العربية في البلدان الإسلامية.

ـ مشكلة التمييز العنصري بين الحكام وبين الأهالي.

ـ مشكلة الصهيونية التي استغلت الدولة الصهيونية امتدادها إلى البحر الأحمر ووجود ميناء إيلات كمركز رئيسي للاتصال بإفريقيا عبر خليج العقبة، وبعد معاهدة السلام ضاعفت جهودها للنفاذ إلى قلب إفريقيا سياسيا واقتصاديا وثقافيا.

ـ مشكلة النصرانية والتبشير ومشكلة الشيوعية التي انتشرت عن طريق حركات التحرر الوطنية ...إلخ.

***هذا وقد شمل الاستعمار الأوروبي قارة إفريقيا كلها إلا دولتين:**

ـ ليبيريا إحدى دول ساحل غربي إفريقيا، لأن السلطة فيها تتركز بأيدي أمريكيين سود نصارى الذين كانوا أرقاء في أمريكا واسترجعوا بعد تحرير الرق.

ـ وأثيوبيا التي مثلها المفكرون بسفينة نصرانية وسط محيط إسلامي. فحماها الاستعمار بل وأضاف لها أراضي إسلامية مجاورة حتى أصبحت مساحتها أضعاف ما كانت عليه وبلغت أكثر من مليون كلم مربع.

وأثيوبيا حقيقتها بلاد إسلامية تحكمها أقلية نصرانية متعصبة ، إذ يمثل المسلمون 60 في المائة من سكانها، وهي مقسمة إلى 12 مقاطعة يحكم كل منها أمير ، وتنقسم المقاطعات إلى 74 قسما إداريا يحكمها 888 حاكما ليس فيهم مسلما واحدا.